خيانة الملك الصالح إسماعيل
وموقف العِزّ بن عبد السلام منها

إعداد

د/ عصام عبد الحليم حلمي هلال

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بإيتاي البارود

البريد الإلكتروني: Esamhelal.2034@azhar.edu.eg

Treachery of King Al-Salih Ismail and the Position of Al-Ezz bin Abd Al-Salam thereon

Dr. Essam Abdel Halim Helmy Hilal

Teacher of Islamic history and Islamic civilization

Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Itay El-Baroud

Email: Esamhelal.2034@azhar.edu.eg

ملخص البحث

إن موضوع خيانة الملك الصالح إسماعيل وموقف الشيخ العز بن عبد السلام منها، من الموضوعات التاريخية المهمة، وترجع أهمية هذا الموضوع إلى أن دراسة خيانة الملك الصالح إسماعيل لأفراد أسرته من الأيوبيين، وأبناء شعبه من المسلمين، وتحالفه مع الصليبيين، ووقوف الشيخ العز بن عبد السلام ضده وإظهار خيانته، والوقوف على أهدافه المختلفة، توضح بجلاء طبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين أفراد البيت الأيوبي، ومدى الانحلال السياسي الذي وصل إليه خلفاء صلاح الدين الأيوبي، كما تبين أن الخيانة لا بد من كشفها مهما حدث، وأن جزاءها وَخِيم، وعقابها عظيم. وقد رأيت أن أتناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل في هذا البحث المتواضع؛ لبيان حقيقة هذه الخيانة، والكشف عن الآثار المترتبة على خيانة الحكام، وجعلت عنوانه "خيانة الملك الصالح إسماعيل وموقف العز ابن عبد السلام منها". وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد ومبحثين: فأما التمهيد، فقد عرَّفْتُ فيه بالشيخ العز بن عبد السلام، والملك الصالح إسماعيل. وأما المبحث الأول فعنوانه "خيانة الملك الصالح إسماعيل"، وقد تحدثت فيه عن تحالف الملك الصالح إسماعيل مع الصليبيين وتعاونه معهم ضد إخوته من المسلمين. وأما المبحث الثاني فعنوانه "موقف العز بن عبد السلام من الخيانة ورد الصالح إسماعيل عليه"، وقد بدأته بموقف الشيخ العز بن عبد السلام من الخيانة، ثم تحدثت عن رد الملك الصالح إسماعيل عليه.

وقد اتضح من خلال البحث أنه رغم المعاهدات والمواثيق التي ربطت بين الصليبيين والملك الصالح إسماعيل، إلا أن خطتهم كانت منطوية على خيانته، وترك المسلمين يحارب بعضهم بعضًا؛ لإضعافهم، وانتهاز الفرصة بعد ذلك للقضاء عليهم، وبالرغم من ذلك فقد هُزِمَ هذا التحالف،، وتم القضاء عليه بفضل من الله عز وجل.

الكلمات المفتاحية : العِز بن عبد السلام، الصالح إسماعيل، الصليبيين، الإفرنج، تحالف، الخوارزمية، خيانة، دمشق.

Summary of the research

The importance of this topic is due to the fact that the study of the betrayal of King Salih Ismail to the members of his family of the Ayyubids and his people among the Muslims, his alliance with the Crusaders, and the stand of Sheikh al-Izz ibn Abdul Salam against him and exposing his betrayal, as well as his various objectives, clearly shows the nature of the relations that existed between the members of the Ayyubid house and the extent of the political decay to which Saladin's successors had reached, and shows that treason must be exposed whatever happens, and its reward and punishment are great. I have decided to study and analyze this topic in this modest research to show the truth of this betrayal and reveal the consequences of the betrayal of rulers, and I have titled it "The Betrayal of the Righteous King Ismail and the Position of Al-Ezz Ibn Abd al-Salam". I divided this research into a preface and two articles: As for the preface, I introduced Shaykh al-Izz ibn Abd al-Salam and the righteous King Ismail. The first article is titled "The Betrayal of the Righteous King Ismail," in which I talked about the alliance of the Righteous King Ismail with the Crusaders and his cooperation with them against his Muslim brothers. The second section is titled "Al-Izz ibn Abd al-Salam's position on the betrayal and Al-Saleh Ismail's response to it." I started with Sheikh Al-Izz ibn Abd al-Salam's position on the betrayal, and then I talked about Al-Saleh Ismail's response to it .

is clear from the research that despite the treaties and pacts between the Crusaders and King Salih Ismail, their plan was to betray him and leave the Muslims to fight each other in order to weaken them and then seize the opportunity to eliminate them, although this alliance was defeated and eliminated by the grace of God Almighty.

Keywords: Al-Ezz ibn Abd al-Salam, Al-Saleh Ismail, Crusaders, Infernals, alliance, Khwarizmiyya, betrayal, Damascus.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد

فلقد تأثرت الحياة الثقافية في بلاد الشام ومصر في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي؛ بالظروف السياسية التي تعرضت لها الأمة العربية والإسلامية، والتي تمثلت في هجوم المغول على العالم الإسلامي من ناحية الشرق، والذي نتج عنه احتلال بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، ثم احتلال بلاد الشام (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) من جهة، وتهديدات الصليبيين لبلاد الشام، مستغلين الواقع السياسي الضعيف والمضطرب للبلاد الإسلامية من جهة أخرى.

وقد ترك هذا الواقع تأثيرا كبيرا في كل مجالات الحياة؛ وخاصة الحياة السياسية والثقافية؛ الأمر الذي دفع بعض العلماء للقيام بدور كبير في حركة الجهاد بشكل مباشر عن طريق حمل السلاح، والخروج به لملاقاة العدو، أو بشكل غير مباشر عن طريق التنبيه على الأخطار المرتقبة والمحدقة بالعالم الإسلامي، من خلال الوعظ والخطب والفتاوى.

وقد كان الشيخ العز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) من أبرز العلماء الذين تصدوا في عصره للظلم والطغيان، وتسلط الأعاجم الدخلاء على السلطة، وعبثهم بمصائر الناس.

ولذلك وقف الشيخ العز بن عبد السلام ضد الملك الصالح إسماعيل الذي تحالف وتعاون مع الصليبيين ضد إخوته من المسلمين، كما غضب حينما دخل الفرنج – بأمر الملك الصالح إسماعيل– مدينة دمشق سنة ثمان وثلاثين وستمائة (١٢٤٠م)؛ وذلك لشراء الأسلحة؛ ليقاتلوا المؤمنين بها، فأفتى بحرمة البيع والشراء مع الصليبيين، وأنكر على الملك الصالح إسماعيل جريمتَه، وقبحَ خيانتِه، وأظهرها أمام الناس، وهذا الموقف التاريخي – للشيخ العز بن عبد السلام – يدل على صلابته في الحق، وأنه رجل لا يخشى في الله لومة لائم.

ولما كان موضوع خيانة الملك الصالح إسماعيل وموقف العز بن عبد السلام منها، من الموضوعات التاريخية المهمة، ولم تتعرض له الدراسات العلمية التي أعدها الباحثون

المُحْدَثُونَ، إلا في سطور قليلة، ولا توجد عنه دراسة مستقلة، فقد رأيت أن أتناوله بالدراسة في هذا البحث، وجعلت عنوانه "خيانة الملك الصالح إسماعيل وموقف العز بن عبد السلام منها".

وترجع أهمية هذا الموضوع إلى أن دراسة "خيانة الملك الصالح إسماعيل وموقف العز بن عبد السلام منها"، تكشف بوضوح عن طبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين بقايا الأيوبيين، وتحالف بعضهم مع أعداء الإسلام والمسلمين، وما نتج عن ذلك.

وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد ومبحثين: فأما التمهيد، فقد عرَّفْتُ فيه بالملك الصالح إسماعيل، والشيخ العز بن عبد السلام.

وأما المبحث الأول فعنوانه "خيانة الملك الصالح إسماعيل"، وقد تحدثت فيه عن تحالف الملك الصالح إسماعيل مع الصليبيين، وتعاونه معهم ضد إخوته من المسلمين. وأما المبحث الثاني فعنوانه "موقف العز بن عبد السلام من الخيانة ورد الصالح إسماعيل عليه"، وقد بدأته بالحديث عن موقف الشيخ العز بن عبد السلام من الخيانة، ثم تحدثت عن رد الملك الصالح إسماعيل عليه.

ثم تحدثت في الخاتمة عن أهم النتائج التي خرجت بها من البحث المتواضع، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَ أن أكون قد وُفِّقْتُ فيه.

هذا وقد اعتمدت في هذا البحث على مصادر عديدة من أمهات الكتب في التاريخ والتراجم والجغرافيا، وقد ذكرتها جميعًا في ثبت المصادر والمراجع بآخر البحث. وقد أفادتني هذه المصادر في استقاء المادة العلمية الخاصة بالبحث.

وأخيرًا، فإني أرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وأن يكون عملي فيه خالصًا لوجه الكريم.

﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

د/ عصام عبد الحليم حلمي هلال
مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بإيتاي البارود

تمهيد

أولا- الملك الصالح إسماعيل.

أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن العادل بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان الأيوبي الكردي[١]. وكان يلقب بالملك الصالح عماد الدين أبو الخيش[٢]. ولقب بذلك؛ لأنه كان يملأ خيشة تِبْنًا وَيُبَيِّتُها في الماء، ثم يطعنها برُمحه فيرفعها عليه، فلقب بذلك[٣].

ويصف ابن العميد[٤] الملك الصالح إسماعيل بقوله: "كان ملكًا حازمًا كريمًا حسن السياسة، لين الجانب لأصحابه، قريبًا منهم، غير أنه ظلم رعيته، وأخذ أموالهم".

---

(١) ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت: ٦٠٦هـ،/١٢٦٢م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق وتقديم: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٤، ص١٨٠٨. وابن العميد: المكين جرجس (ت: ٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، بدون تاريخ، ص٤١. والصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٩، ص١٢٩. وابن العماد: شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد (١٠٨٩هـ /١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وأخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه: محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، بيروت، الطبعة الأولى بدون تاريخ، ج٧، ص٤١٦.

(٢) ابن أيبك: أبو بكر بن عبد الله الدوا داري (ت:٧٣٢هـ /١٣٣٢م)، كنز الدرر وجامع الغرر (الدُرّ المطلوب في ذكر ملوك بني أيوب)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م، ج٧، ص٢٠٥. وابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١٧، ص٣١٠. والزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسني (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، ترويج القلوب في ذكر الملوك بني أيوب، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص٥٤.

(٣) النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة، وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ج٢٩، ص١٤٥.

(٤) أخبار الأيوبيين، ص٤١.

ووصفه ابن كثير[١] بأنه كان "مَلِكًا عاقلاً حازماً تتقلب بِهِ الْأَحْوَالُ أَطْوَارًا كَثِيرَةً". بينما وصفه ابن العماد[٢] فقال: "وكان ملكا شهما محسنا إلى خدمه وغلمانه وحاشيته، كثير التجمل".

وقد حظي الملك الصالح إسماعيل بمنح أبيه له حكم مدينة بُصْرَى[٣] من أعمال دمشق[٤]، فأقام في إقطاعه حتى بعد وفاة أبيه[٥]. وقد استعان به أخوه الأشرف[٦] في

---

(١) البداية والنهاية، ج١٣، ص٢١٠.

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٤١٦.

(٣) بُصْرَى: بضم الباء الموحدة، وسكون الصاد المهملة، وراء مهملة، وألف مقصورة في الآخر، وهي مدينة أزلية مبنية بالحجارة السود، وهي من أعمال دمشق. أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود، والبارون ماك ديسلان، طبع في مدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية، دار صادر بيروت، ص٢٥٢ وما بعدها. ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ج١، ص٤٤١. وبُصرى الآن مدينة سورية تتبع محافظة درعا. كمال موريس شربل: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، دار الجبل، بيرو، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٢٣١.

(٤) دمشق: قصبة بلاد الشام وجنة الأرض لما فيها من النضارة وحسن العمارة، ونزاهة الرقعة، وسعة البقعة، وكثرة المياه، والأشجار، ورخص الفواكه والثمار. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، بدون تاريخ، ص١٨٩. ودمشق الآن عاصمة سوريا، ومركز محافظة دمشق. كمال موريس شربل: المرجع السابق، ص٢٣٢.

(٥) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٤، ص١٨٠٨. وابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٢١.

(٦) الملك الأشرف موسى الأيوبي أبو الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، الملقب الملك الأشرف مظفر الدين؛ أول شيء ملكه من البلاد مدينة الرها، سيره إليها والده من الديار المصرية في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة (١٢٠١م)، ثم أضيفت إليه حران. وكان محبوباً إلى الناس مسعوداً مؤيداً في الحروب من يومه، لقي نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل، وكان يوم ذاك من الملوك المشاهير الكبار، توفى الملك الأشرف موسى سنة خمس وثلاثين وستمائة (١٢٣٧م). ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ج٥، ص٣٣١. وبامخرمة: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي (ت: ٩٤٧ هـ/١٥٤٠م)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عُني به: أبو جمعة=

إدارة دمشق[١]. وعندما مرض الملك الأشرف أوصى بحكم دمشق لأخيه الملك الصالح إسماعيل بالإضافة إلى بعلبك[٢]، ولما توفى الملك الأشرف موسى سنة خمس وثلاثين وستمائة (١٢٣٧م) تملك الملك إسماعيل ما كان بيد أخيه الملك الأشرف من البلاد[٣]. وقد قُتِلَ الملك الصالح إسماعيل، في ليلة الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وأربعين وستمائة (١٢٥٠م)[٤]. وسيأتي بعد ذلك بيان سبب وكيفية قتله.

=مكري، وخالد زواري، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ج٥، ص١٤٦. والغزي: شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن (ت: ١١٦٧هـ/١٧٥٣م)، ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كَسرَوي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج١، ص٤٥ وما بعدها.

(١) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٤، ص١٨٠٨.

(٢) بعلبك: قلعةٌ حصينةٌ جليلة المقدار من أجلِّ البنيان وأعظمه، وهي مرجلة على وجه الأرض كقلعة دمشق، وقيل: "بل إنما بنيت قلعة دمشق على مثالها، وهيهات لا تعدّ من أمثالها! وأين قلعة دمشق منها؟! وحجارتها تلك الجبال الثوابت، وعمدها تلك الصخور النوابت". ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، عنى بتحقيقه وضبطه وعلق على حواشيه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٢٩. والقلقشندي: أحمد بن علي بن أبي اليمن (ت: ٨٢١هـ /١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٤، ص١١٣. وبعلبك الآن مدينة بقاعية واقعة في قلب سهل البقاع الغني بمحاصيله الزراعية وغلاته الوافرة، وتحيط بها من الشرق والغرب سلسلتا جبال لبنان الشرقية والغربية، عدد سكانها ستون ألف نسمة، وهي مركز قضاء بعلبك بمحافظة البقاع. كمال موريس شربل: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ص١١٠. ويحي الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص١١٨.

(٣) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٢١.

(٤) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ج٣، ص٢٢٣.

ثانيا- الشيخ العِزّ بن عبد السلام.

أبو محمد عِزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مُهذب السلمي الدمشقي الشافعي[١]. ينتمي إلى إحدى القبائل العربية العريقة، فهو من قبيلة سُليم نسبة إلى سليم بن منصور[٢]. وهي إحدى القبائل المضرية المشهورة[٣].

ولد الشيخ العِزّ بن عبد السلام سنة سبعٍ أو ثمانٍ وسبعين وخمسمائة (٥٧٧هـ أو ٥٧٨هـ/١١٨١م أو ١١٨٢م)[٤]. ونشأ في أسرة فقيرة ليس لها باع في العلم أو السلطان، إذ كان والده يعمل حمالًا يكدّ من أجل إعانة عائلته، وتوفي والعِزُّ ما زال صبيًا صغيرًا، فالتحق بخدمة المسجد الأموي[٥] الذي صار مأوى له، وقد ألحقه فخر

---

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص٣١٨. والكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ج٢، ص٢٥١. والسبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت:٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، دار هجر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٨، ص٢٠٩. وابن تغري بردي: جمال الدين يوسف أبو المحاسن (ت: ٨٧٤ هـ /١٤٦٩م)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون تاريخ، ج٧، ص٢٨٩.

(٢) الحازمي: أبو بكر محمد بن أبي عثمان (ت: ٥٨٤هـ/١١٨٨م)، عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب، تحقيق: عبد الله بن كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٢٢.

(٣) علي عبد مشالي: المواقف التاريخية والفكرية في مؤلفات العز بن عبد السلام الدمشقي ومنهجه وموارده، دار تموز، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ص٣٢.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٠٩.

(٥) ويطلق عليه أيضاً مسجد دمشق، وجامع بني أميةَ، جامع عظيم، بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان في سنة ثمان وثمانين من الهجرة، وقد زُخْرِفَ بأنواع الزَّخْرَفَةِ من الفُصُوص المُذْهَبَةِ، والمَرْمَرِ المصقول، وتحت نَسْرِهِ عمودان مجزَّعان بالحمرة لم يُرَ مثلهما، يقال: إن الوليد اشتراهما بألف وخمسمائة دينار، وفي المحراب عمودان صغيران يقال: إنهما كانا في عرش بِلْقِيس، وعند منارته الشرقية حجرٌ يقال: إنه قطعةٌ من الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام فانفجرت منه اثنتا=

الدين ابن عساكر[١] (ت: ٦٢٠هـ/١١٢٣م) على نفقته بمكتب تحفيظ القرآن؛ ليتعلم القراءة والكتابة، ويحفظ القرآن الكريم[٢].

وقد جمع الشيخ العِزّ بن عبد السلام من فنون العلم العجب العجاب من التفسير، والحديث، والفقه، والعربية، والأصول، واختلاف المذاهب والعلماء، وأقوال الناس، وصنف المصنفات المفيدة[٣]، وأفتى الفتاوي السديدة، وبلغ رتبة الاجتهاد، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد[٤].

=عشرة عيناً، والجامع مفروش برخام أبيض مختم بالأزرق. البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه: جمال طلبة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٢، ص٣٦. وابن فضل الله العمري: شهاب الدين أحمد بن يحي (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ج٣، ص٩٩،١٠٠. والحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، ص٢٣٨.

(١) عبد الرحمن بن محمد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي، الشيخ الإمام الكبير أبو منصور، فخر الدين ابن عساكر، شيخ الشافعية بالشام، وآخرُ من جُمِعَ له العلم والعمل، ولد سنة خمس وخمسين وخمسمائة (١١٦٠م). اشتهر بقوته في الحق، فكان لا يهاب سطوة ظالم، ولا يسكت على من ينتهك حرمة في الدين، وتوفي في العاشر من رجب سنة عشرين وستمائة (١٢٢٣م). السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص١٧٧-١٨٤. وابن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت: ٨٥١هـ /١٤٤٧م)، طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد الحليم خان، وزارة المعارف، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٦٧ وما بعدها.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٠٩،٢١٠. وعلي عبد مشالي: المواقف التاريخية والفكرية في مؤلفات العز بن عبد السلام الدمشقي ومنهجه وموارده، ص٣٤.

(٣) لمصنفات الشيخ العز بن عبد السلام انظر: العز بن عبد السلام: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، القواعد الكبرى الموسوم بـ (قواعد الأحكام في إصلاح الأنام)، تحقيق: نزيه كمال حماد، وعثمان جمعة ضميرية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، (مقدمة التحقيق) ج١، ص١٣م – ١٥م.

(٤) اليافعي: محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ /١٢٦٩م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الطبعة الأولى، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية،=

وأطلقت عليه ألقاب عدّة منها:

١- سلطان العلماء وقد وصفه بذلك اليافعي[١] فقال: "سلطان العلماء، وفحل النجباء المقدم في عصره على سائر الأقران".

٢- شيخ الإسلام: وقد وصفه بذلك الصفدي[٢] فقال: "شيخ الإسلام وبقية الأعلام".

٣- الإمام الحبر: وقد وصفه بذلك الغَزي[٣] فقال: "الإمام الحبر البحر شيخ الإسلام سلطان العلماء عِزّ الدين السلمي ... صاحب الشهرة الحسنة والمؤلفات المتقنة".

والواقع أن الشيخ العِزّ بن عبد السلام أطلق عليه هذه الألقاب لما تفقه به في بحور العلم، لا سيما في الدين، والأحاديث النبوية وتبحره فيها.

٤- العِزّ بن عبد السلام: شاعت تسميته بذلك جريًا على عادة علماء عصره في الاختصار[٤].

٥- بائع الأمراء: لأنه أفتى ببيع الأمراء الأتراك، فضلًا عن قبض ثمن بيعهم، وصرفه في وجوه الخير[٥].

=١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٤، ص١٥٣. ولمزيد من التفصيل عن تلاميذ العز بن عبد السلام، انظر: العز بن عبد السلام: المصدر السابق، (مقدمة التحقيق) ج١، ص١٥م وما بعدها.

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج٤، ص١٥٣.

(٢) الوافي بالوفيات، ج٩، ص٣١٨.

(٣) ديوان الإسلام، ج٣، ص٢٨٩ وما بعدها.

(٤) عبد المنعم الهاشمي: العز بن عبد السلام سلطان العلماء، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ص٧.

(٥) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢١٧. والمقصود بالأتراك في النص المذكور: المماليك.

وتوفي الشيخ العِزّ بن عبد السلام يوم السبت العاشر من جمادي الأولى من سنة ستين وستمائة (١٢٦٢م) في مدينة القاهرة[١]. ودفن من الغد بسفح جبل المقطم بالقرافة الكبرى[٢]. وحضر جنازته السلطان الظاهر (بيبرس) [٣]، وخلق كثير[٤].

---

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٤٥. وابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج٧، ص٢٨٩.

(٢) المقدسي: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٥م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع (المعروف بالذيل على الروضتين)، دار الجبل، بيروت، ١٩٧٤م، ص٢١٦.

(٣) الظاهر بيبرس: هو الملك القاهر ثم الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البُنْدقداري، تولى حكم ديار مصر والشام في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة، وأخذ في جهاد الفرنج واستعادة ما ارتجعوه من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكَسَرَ أيضاً بعساكره التتار في سنة إحدى وسبعين وستمائة (١٢٧٢م)، وتوفى بدمشق في آخر سنة خمس وسبعين وستمائة (١٢٧٦م). ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٤٦. الصفدي: الحسن بن أبي محمد عبد الله الهاشمي (توفي بُعَيْدَ ٧١٧هـ/١٣١٧م)، نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من وُليَّ مصر من الملوك، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٥٠. المطري: جمال الدين محمد بن أحمد (ت: ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، دراسة وتحقيق: سليمان الرحيلي، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٨٦.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٤٥.

المبحث الأول

خيانة الملك الصالح إسماعيل

لقد تحالف الملك الصالح إسماعيل مع الناصر داود[١] ضد صاحب مصر – الملك الصالح نجم الدين[٢] – واتفق معه على عداوته[٣]. وذلك لأن الملك الصالح إسماعيل أيقن أن تولي الملك الصالح نجم الدين حكم مصر خطرٌ يهدده، وأنه – أي الملك الصالح إسماعيل– سوف يكون هدفًا له[٤]. والتجأ – الصالح إسماعيل– في الوقت

---

(١) الناصر داود: داود بن عيسى بن محمد بن أيوب، السلطان الملك الناصر صلاح الدين، أبو المفاخر، وأبو المظفر ابن السلطان الملك المعظم بن السلطان الملك العادل، صاحب الكرك. ولد بدمشق في التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة (١٢٠٦م)، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة (١٢٥٨م). المقريزي: تقي الدين أحمد ابن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١١١ وما بعدها. وابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج٥، ص ٢٩٤، وص٢٩٩.

(٢) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر أيوب الثامن من ملوك بني أيوب، وقد توفي في ليلة الأحد لأربع عشرة ليلة مضت من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة (١٢٤٩م)، وكانت مدة مملكته لمصر تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يومًا، وكان عمره نحو أربع وأربعين سنة، وكان مهيبًا، عالي الهمة، عفيفًا، طاهر اللسان، وشديد الوقار، كثير الصمت. ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٢٦. وابن عبد الظاهر: محي الدين بن عبد الظاهر (٦٩٢هـ /١٢٩٢م)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص٤٧. وبيبرس المنصوري: الأمير بيبرس بن عبد الله المنصوري الدوادار(ت: ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، مختار الأخبار (تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ)، حققه وقدم له ووضع فهارسه: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٧.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٦، ص٢٨٣.

(٤) يوسف حسن درويش غوانمة: إمارة الكرك الأيوبية، دار الفكر، عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٣٧٩.

نفسه إلى الفرنج ليقوى بهم، وكي يساعدوه في دخول مصر، فرأى الفرنج في ذلك فرصة لتحقيق بعض المكاسب على حساب الجبهة الإسلامية المفككة(١).

ولتأكيد تحالفه مع الفرنج قام بإرسال رسالة مع رجاله إليهم يطالبهم فيها بعقد معاهدة معه؛ لأن استقرارهم وأمانهم في البلاد مرتبط بعقد هذه المعاهدة والتحالف معه؛ لمحاربة الملك الصالح نجم الدين أيوب(٢). وقد أرسل بنود هذا التحالف – أو هذه المعاهدة – ضِمن الرسالة التي أرسلها مع رجاله إلى الإفرنج، وقد تكفل فيها بما يلي(٣):

١- تزويد الفرنج بالرجال، والسلاح، والمؤن والزاد.

٢- توفير اللحوم والمؤن للداوية(٤) والاسبتارية(٥) وقوات الإفرنج؛ إذا ما أقدموا على غزو الأراضي المصرية، ومحاصرة أي مدينة فيها، بهدف نيل شرف النصر والافتخار به.

---

(١) يوسف حسن درويش غوانمة: إمارة الكرك الأيوبية، ص٢٦٣.

(٢) مجهول: تتمة كتاب وليم الصوري، ترجمة وتحليل وتعليق: أسامة زكي زيد، مكتبة المهتدين، ١٩٨٩م، ص١٠٦. وستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٣، ق١، ص٣٧٢ وما بعدها.

(٣) مجهول: المصدر السابق، ص١٠٦ وما بعدها.

(٤) الداوية: أو فرسان المعبد، هي طائفة من النبلاء من طبقة الفرسان، وقد أنشئت سنة ١١١٩م في بيت المقدس عقب سقوطه في يد الفرنج الصليبيين، ومؤسسها هو هيج دي باين، وذلك لحماية الحجاج إلى قبر المسيح، وحفظ المسالك والدروب العامة وجعلها آمنة من اللصوص وقطاع الطرق، وأفرد لهم ملك بيت المقدس جناحاً في قصره، ثم سلم إليهم المعبد المجاور له، ومنه اشتقوا اسمهم " فرسان المعبد "، ونمت هذه الجماعة بسرعة، واشتد ساعدها بمن انضم إليها من النصارى من سائر الأمم، ولعبت دوراً مهماً في حوادث الحروب الصليبية، واستمرت قائمة عصوراً. وليم الصوري(ت:٥٨٠هـ/١١٨٤م): تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ج٢، ص ٣٤٥. يوحنا فورزبورغ (الرحالة الألماني)، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق، ١٩٩٧م، ص٥١ وما بعدها.

(٥) الاسبتارية: طائفة دينية عسكرية، يطلق عليهم فرسان القديس يوحنا، أو فرسان بيت المقدس، وقد أسس هذه الطائفة جيرارد (Blessed Gerard) ، وكانت بداية عمل هذه الطائفة هو العمل بالتجارة، وسمح لهم الخليفة الفاطمي بالتجارة، وتمكنوا بعد ذلك من إقناع الخليفة الفاطمي بالسماح لهم بإقامة كنيسة بالقرب من الضريح المقدس، ثم تطور أمر هذه الطائفة بعد ذلك=

٣- تزويد الإفرنج بكل ما يحتاجون إليه في حربهم مع ابن أخيه الصالح أيوب.

٤- أن يتقدم بمساعدة الإفرنج إذا احتاج الأمر للدفاع عنهم ضد أي اعتداء من المسلمين.

٥- أن يضمن لهم تسليم حصن شقيف[١] وصفد[٢] وما بينهما من تلال.

وتنفيذًا لبنود المعاهدة أعاد السلطان الملك الصالح إسماعيل للصليبيين حصن شقيف أرنون – المسمى أيضًا بيوفورت Biaufort –، ولكن حينما أرسل قواته لتسليم الحصن للصليبيين، امتنع رجال الحامية بالحصن عن تسليمه، وأصروا على عدم مغادرته، واتهموا السلطان بأنه لم يكن أمينًا أبدًا في الحفاظ على شريعة محمد ﷺ، عندما أراد

=فأصبحوا يقدمون الخدمات للحجاج والمرضى المسيحيين، ويوفرون لهم المأوى والطعام، ولعبت هذه الطائفة دوراً خطيراً في الحروب الصليبية. وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٣٨٧ وما بعدها وص٣٩٠. ويعقوب الفيتري (بطريرك عكا) (ت: ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م): تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق: سعيد البيشاوي، دار الشروق، ١٩٩٨م، ص ٨٦-٨٨.

(١) حصن شقيف يقع جنوب لبنان بين صور وصيدا، ويتخذ هذا الحصن شكلًا يقترب من المثلث، ويوجد به على امتداده من الناحية الشرقية هوة يبلغ عمقها أكثر من ثلاثمائة متر في أسفلها يجري نهر الليطاني، ويوجد بالصخرة المحيطة بالحصن من الناحيتين: الجنوبية والغربية خندق عميق بمثابة خط دفاع أمامي عن الحصن، ويطلق المؤرخون الأجانب عليه اسم بلفورت Belfort بالإنجليزية، وبوفورت Beaufort بالفرنسية. أما المؤرخون العرب يسمونه شقيف أرنون. مجهول: تتمة كتاب وليم الصوري، حاشية ص١٠٤. ويذكر ياقوت الحموي أن كلمة أرنون نسبة إلى اسم رجل إما روميّ وإمّا أفرنجيّ: وهو قلعة حصينة جدّا في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل. معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٦. واستولى الصليبيين عليه عام ٥٣٤هـ/١١٣٩م، وظل خاضعًا لهم حتى استرده صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م، ولكن السلطان الملك الصالح إسماعيل سلمه إلى الصليبيين عام ١٢٤٠م، وظل بأيديهم حتى استرده السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م. مجهول: نفسه.

(٢) صفد: مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام؛ وهي من جبال لبنان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤١٢. وصفد الآن من مدن فلسطين، وهي في المنطقة الشمالية، على سفح جبل الجرمك الجنوبي. كمال موريس شربل: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ص٢٣٧. ويحي شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٩٩.

تسليم الحصن إلى هؤلاء الصليبيين، الذين وصفوهم بأنهم كلاب وخنازير لا يعتقدون في وجود الله.، وحينما وصل هذا الخبر إلى السلطان الملك الصالح إسماعيل، اتجه مسرعًا على رأس جيش ناحية الحصن لدخوله، ولكن حامية الحصن منعته من الدخول، فأرسل السلطان في طلب أسلحته وآلات الحصار من دمشق[١].

وعند وصول الأسلحة وأدوات الحصار حاصر السلطان الحصن، وبدأت قواته في الهجوم عليه من جميع الجهات، وكان المنجنيق[٢] يقذف أحجارًا كبيرة الحجم، وهرب الناس من الحصن، ولم يبق بداخله غير الأتراك الذين أدركوا عدم إمكانيتهم الاحتفاظ بالحصن طويلًا، فضلًا عن أنه لن تأتيهم نجدة من أي مكان، لذلك طلبوا من السلطان التفاوض معهم، وأبلغوه باستعدادهم لتسليم الحصن؛ بشرط الابقاء على حياتهم، ولكن السلطان رفض التفاوض معهم، وقال: إنه لن يكون التفاوض معهم وفق إرادتهم، فإما أن يعيدوا إليه الحصن، ويسلموا أنفسهم؛ ليتصرف معهم كما يشاء، وإما سيستمر في الحرب حتى يستولى عليه بالقوة، لذلك فكر المحاصرون فوجدوا أن السلطان بوسعه أن يهاجمهم في أي يوم، ويستولى على الحصن بالقوة، ويقتلهم جميعًا شر قتلة؛ ولهذا ذهبوا إليه مستسلمين لإرادته، وعندئذ قام السلطان بشنق بعضهم، وسحلهم، وطرد البعض الآخر من بلاده، وأما الباقون فقام بحلق نصف لحاهم، وهو أقسى احتقار يمكن أن يوجه لهم من قبل السلطان، واسترد السلطان الحصن وسلمه للصليبيين، وقام بتزويد الحصن بالرجال والأسلحة والزاد، وكل ما يلزم للدفاع[٣].

---

(١) مجهول: تتمة كتاب وليم الصوري، ص١٠٥.

(٢) المَنْجَنِيق: آلة من آلات الحرب تستخدم في قذف الحصون والقلاع بالحجارة، وهي مصنوعة من الخشب، ولها دَفَّتَانِ قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل، وذنبه خفيف، وفيه تجعل كِفَّةُ المنجنيق التي يجعل الحجر، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبُه الذي فيه الكِفَّةُ فيخرج الحجر منه فما أصاب شيئاً إلا أهلكه. ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص٢٧٠، والزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ج٢٥، ص١٣٢.

(٣) مجهول: تتمة كتاب وليم الصوري، ص١٠٥ وما بعدها.

وقد كان لتسليم قلعة الشقيف للصليبيين ردة فعل بين العلماء، وعامة الناس على تصرف الملك الصالح إسماعيل المشين، فغادر خطيب المسجد الأموي مع بعض العلماء دمشق، وقصدوا القاهرة، جراء موقفهم الرافض، وخوفًا من بطشه[١].

وقد سلم الملك الصالح إسماعيل قلعة صفد وبلادها، وحصن الشقيف، وطبرية[٢] وأعمالها، وجبل عامِلَة، وجميع بلاد الساحل للصليبيين، وذلك سنة ثمان وثلاثين وستمائة (١٢٤٠م)، وناصفهم صيدا[٣]، ومكنهم من دخول دمشق لابتِياع السلاح[٤].

وقد أنكر المسلمون معاضدة الملك الصالح إسماعيل للصليبيين، وتسليم البلاد لهم، وتعاونه معهم ضد الصالح نجم الدين، فعظم ذلك على المسلمين، وأكثر الشيخ العز بن عبد السلام التشنيع على الملك الصالح إسماعيل بسبب ذلك[٥].

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٣٣١.

(٢) طبريّة: بليدة مطلّة على البحيرة المعروفة بها، وهى من أعمال الأردن، في طرف الغور. صفي الدن البغدادي: عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٨٧٩. وطبرية الآن مدينة فلسطينية منخفضة عن سطح البحر، تطل على البحيرة المسماة باسمها، وهي في طرف جبل مطل عليها، وكانت من أعمال الأردن في طرف الغور. يحي شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص١٠٠.

(٣) صيدا: مدينة بأرض الشام، على ساحل البحر، وعليها سور حجارة. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٧٣. وصيدا الآن مدينة في لبنان، وهي مركز محافظة الجنوب، وأكبر مدنها، تقع على ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب من بيروت. يحي شامي: المرجع السابق، ص١٢٦.

(٤) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٩، ص١٨١. والذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ج١٤، ص٢٧.

(٥) أبو الفداء: تاريخ مختصر الدول، ج٣، ص٢٠٥.

معركة غزة[١] ٦٤٢هـ:

انضم الصالح إسماعيل بقواته إلى الفرنجة، وسار معهم، وانحاز إليهم الملك الناصر داود، وانضم معهم عساكر حمص[٢]، واجتمعوا في يافا[٣].

---

(١) غزة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، من عمل فلسطين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٠٢. صفيّ الدين البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٢، ص٩٩٤. وغزة الآن مدينة فلسطينية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط في أقصى جنوب الساحل الفلسطيني. كمال موريس شربل: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ص٤٠٠.

(٢) حمص: بكسر الحاء المهملة، وسكون الميم، وصاد مهملة في الآخر. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٢٦٠. وفي الروض المعطار في خبر الأقطار: "ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز في هندٍ؛ لأن هذا اسم أعجمي، وسميت برجل من العماليق اسمه حمص، وهو أول من نزلها". الحميري، ص١٩٨. وحمص مدينة قديمة اسمها القديم سوريا، كانت معظمة عند ملوك الروم وهي كرسي ملكهم، وهي في وطاءة ممتدة على جانب نهر العاصي في شماليه. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٣، ص ٣٦٥. وحمص الآن مدينة سورية تقع على نصف المسافة بين دمشق وحلب، وهي مركز محافظة حمص، ومن كبريات المدن السورية. كمال موريس شربل: المرجع السابق، ص٢١٣. ويحي شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٥٥.

(٣) ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، حققه ووضع حواشيه: حسنين محمد ربيع، راجعه وقدم له: سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، بدون تاريخ، ج٥، ص٣٣٨ وما بعدها. ومجهول: تتمة كتاب وليم الصوري، ص١٣١-١٣٣. ويافا بالفاء، والقصر: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكّا، افتتحها صلاح الدين بن يوسف عند فتحه الساحل في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م)، ثم استولى عليها الإفرنج في سنة سبع وثمانين وخمسمائة (١١٩١م)، ثمّ استعادها منهم الملك العادل أبو بكر ابن أيوب في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (١١٩٦م)، وخرّبها، ومن أبرز أعلام يافا أبو العباس محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عمير اليافوني. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤٢٦. ويافا الآن مدينة فلسطينية على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى الجنوب من تل أبيب، وهي تكاد تكون ملتصقة بها، بها مرفأ تجاري، وآخر لصيد الأسماك، وفيها عدد كبير من بساتين الليمون والبرتقال، وهو من أجود الأنواع، كما أن بها عددًا من المصانع. يحي شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص١٠٦.

وقد وصف سبط ابن الجوزي الملك الصالح إسماعيل وأتباعه عند سيرهم مع الصليبيين بقوله: "وساق صاحب حمص وعسكر دمشق تحت أعلام الفرنج، وعلى رؤوسهم الصُّلبان ... وبأيديهم كاساتُ الخمر والهنابات[١] يسقونهم"[٢].

وحكي عن الملك المنصور[٣] صاحب حمص الذي كان مع الملك الصالح إسماعيل أنه قال: "والله لقد حضرت الحرب ذلك اليوم، وأوقع الله تعالى في قلبي أنا لا ننتصر لانتصارنا بالكفار"[٤].

وفي المقابل تحالف الصالح نجم الدين أيوب مع الخوارزمية[٥]، وأمرهم بالتوجه إلى دمشق للاستيلاء عليها، فخرجت العساكر الخوارزمية والمصرية، ورابطت في غزة[٦].

---

(١) هناب: قدح للشراب. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج٢، ص١٠٤.

(٢) شمس الدين يوسف بن قِزْ أوغلي بن عبد الله (ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، دمشق، بدون تاريخ، ج٢٢، ص٣٨١ وما بعدها.

(٣) الملك المنصور إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص، كان شجاعًا مقدامًا، موافقًا للصالح إسماعيل ومصاهرًا له، ثم أوقع بينهم الصالح نجم الدين أيوب، واصطفاه لنفسه، مات يوم الأربعاء حادي عشر صفر من سنة أربع وأربعين وستمائة (١٢٤٦م)، وحمل في تابوت الى حمص، وتولى مكانه ولده الملك الأشرف موسى. ابن دقماق: صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر (ت: ٨٠٩هـ/١٤٠٦)، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (٦٢٨هـ-١٢٣٠م/٦٥٩هـ-١٢٦١م)، دراسة وتحقيق: سمير طبارة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص١٧١.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٥، ص٣٣٩.

(٥) الخوارزمية بقايا جند دولة خوارزم شاه الذين قادهم جلال الدين منكبرتي، ووصلوا إلى الشام إثر سقوط دولتهم بيد المغول بعد مقتل جلال الدين في جبال الأكراد سنة (٦٢٨هـ/١٢٣١م)، وقد استخدمهم الملك الصالح أيوب، واستعان بهم على استرداد القدس من الصليبيين. ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٤، حاشية رقم (١) ص١٨١٠.

(٦) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٥، ص٣٣٨ وما بعدها. ومجهول: تتمة كتاب وليم الصوري، ص١٣١-١٣٣.

وقد ذكر صاحب كتاب "تتمة كتاب وليم الصوري" أنه: "عندما اقترب الجيش الصليبي من غزة رأوا الخوارزمية، وجند مصر مستعدين لحربهم، فقسم الصليبيون فرقهم، واستعدوا للقتال بطريقة متفق عليها؛ بحيث يبدأ سلطانا دمشق وحمص المعركة أولًا، فإذا ما اقتربت الأطراف المتحاربة وتشابكت عندئذ يحارب المسلمون بعضهم بعضًا، بحيث لا يشفق أي منهم على الآخر، رغم أنهم ينتمون إلى عنصر واحد"[١]. وهذا دليل قوي على عدم صدق الصليبيين، وعدم صفاء نيتهم مع المسلمين، وذلك رغم المعاهدات والمواثيق التي بينهم وبين الملك الصالح إسماعيل، والتي كانت تربطهم به. وقد عمل القائد ركن الدين بيبرس على إرسال رماته حول التلال الرملية؛ ليقوموا بتطويق جيش الصليبيين، الذين لم يفطنوا لهذا الأمر إلا متأخرًا؛ بسبب وقوف جيشهم في منخفض بين التلال على ساحل البحر، الأمر الذي سهل مهمة الجيش المصري في القضاء عليهم[٢].

وقد التقى الجيشان في معركة غزة سنة اثنين وأربعين وستمائة (١٢٤٤م)، وكانت معركة شديدة، انتهت بهزيمة التحالف، وانتصار العساكر الخوارزمية والمصرية، ومضي الملك المنصور ومن كان معه من عسكره وعسكر دمشق في أسوء حال، ودخل دمشق وهو لا يصدق بالنجاة[٣].

وقد غنم الخوارزميون من الإفرنج غنائم كثيرة، ولم يستطع أن يهرب من الفرسان الداوية سوى ستة وثلاثين رجلًا، ومن جماعة الفرسان الإسبتارية ستة وعشرين. أما الآخرون فكانوا ما بين قتيل وأسير، وفقدوا تقريبًا كل رماة السهام والمشاة، وقد فر

---

(١) مجهول: تتمة كتاب وليم الصوري ، ص١٣١ وما بعدها.

(٢) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ق١، ص٣٧٤ وما بعدها.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٥، ص٣٣٩.

الهاربون من المعركة إلى قلعة عسقلان[١]، والذين تم أسرهم في المعركة قد سيقوا إلى مصر إلى مدينة بابليون[٢].

وبعد هذا الانتصار العظيم للعساكر المصرية والخوارزمية، وردت البشائر إلى مصر، فتزين البَلَدَان القاهرة ومصر، والقلعتان قلعة الجبل[٣]، وقلعة الجزيرة[٤] – وكان بناؤها قد تم – زينة لم يزين قبل ذلك مثلها، وضربت البشائر أيامًا متوالية، ووصل إلى مصر أسارى الفرنج، ومعهم جماعة من الأمراء والأعيان من المسلمين الذين كانوا معهم أسارى، منهم جماعة من أصحاب الملك الناصر داود، وجماعة من عسكر دمشق، وكان يوم دخولهم القاهرة يومًا مشهودًا[٥].

---

(١) عسقلان: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين، كان يقال لها: عروس الشام لحسنها، وافتتحت في أيام عمر بن الخطاب على يد معاوية بن أبي سفيان، ولم تزل في يد المسلمين إلى أن استولى الفرنج عليها سنة ثمان وأربعين وخمسمائة. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٢٣٩. والقزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٢٢. وعسقلان الآن مدينة ساحلية في جنوب فلسطين. كمال موريس شربل: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ص٣٧٥.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٥، ص٣٣٨ وما بعدها. ومجهول: تتمة كتاب وليم الصوري، ص١٣١–١٣٣. وبابِلْيُونُ: هو اسم عامّ لديار مصر بلغة القدماء. وقيل هو اسم لموضع الفسطاط خاصة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣١١.

(٣) هذه القلعة على قطعة من الجبل، وتتصل بجبل المقطم، وتشرف على القاهرة، ومصر، والنيل، والقرافة، وقد أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، راجعه وضبط هوامشه أحمد أحمد زيادة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ج٣، ص٤١٨، وص٤٢٢.

(٤) قلعة الجزيرة: بناها الصالح نجم الدين أيوب قلعة مكان الحصن الذي كان موجوداً بجزيرة الروضة، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وستمائة من الهجرة، وبقيت حتى هدمها المعز أيبك التركماني أول ملوك الترك. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٨٠.

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٥، ص٣٣٩.

ولا شك في أن هزيمة الصليبيين بهذه المعركة كانت أفدح كارثة حلت بهم منذ موقعة حطين[١] سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م)، حتى أطلق عليها حطين الثانية، حيث دمرت جيوشهم تدميرًا لم يشهدوه من قبل إلا في المعركة السالفة الذكر[٢].

وقد سبق أن ذكرت أن الملك الصالح إسماعيل قد سلم طبرية وعسقلان للصليبيين، وأنهم قاموا ببناء قلعتيهما وحصنوهما، وأضيف أنه لما وقعت المعركة السابقة – معركة غزة – التي انتصر فيها المصريون والخوارزميون، أرسل الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى الأمير ركن الدين بيبرس، والأمير حسام الدين[٣] بن أبي علي، يأمرهما

---

(١) استطاع صلاح الدين الأيوبي من تكوين جبهة إسلامية قوية متماسكة من برقة غرباً إلى الفرات شرقاً، ومن الموصل وحلب شمالاً إلى النوبة واليمن جنوباً، وظل على مدار خمسة عشر عاماً يعمل على جمع الشمل والتوحيد، حتى استطاع بهذه الوحدة تحطيم أسطورة الصليب في معركة حطين؛ على تراب فلسطين سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م)، وداست حوافر خيل المسلمين في هذه المعركة أحلام الصليبيين، وقامت بتحطيم أكبر قوة صليبية؛ حيث تجمعت عليه جُلَ جيوش أوروبا، وملوكها، وأمرائها، وحقق نصراً مؤزراً، وكان من يرى القتلى يحسب أن ليس هناك أسرى، ومن يرى الأسرى يحسب أن ليس هناك قتلى، واستطاع صلاح الدين أن يبني دولة أيوبية قوية، ويمهد لزوال الصليبيين نهائياً من المنطقة. ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٤٠٨-٤١٠. وابن شداد: أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة (المتوفى: ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص١٢٦-١٢٩. وحمزة النشرتي، وآخرون: السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين وبطل موقعة حطين، المكتبة القيمة بالقاهرة، بدون تاريخ، ص٢٧٦.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٢٥ وما بعدها.

(٣) الأمير حسام الدين بن أبي علي الهذباني أبو علي بن محمد بن باشاك كان رئيسا مدبرًا خبيرًا قوي النفس، وكان له اختصاص بالصالح نجم الدين أيوب، فلما تملك إسماعيل الصالح حبسه، وضيق عليه، ثم أطلقه فتوجه إلى مصر، وناب في السلطنة بدمشق لنجم الدين أيوب عقيب الخوارزمية وحاصر بعلبك وفيها أولاد الصالح فسلموها له بالأمان وناب في السلطنة بمصر،=

بمنازلة عسقلان وانتزاعها من يد الصليبيين، فتقدم ركن الدين بيبرس وحسام الدين بمن معهما من عسكر مصر إلى عسقلان، ونازلوها وضايقوها، إلا أنها امتنعت عليهم لحصانتها[١].

والواقع أن ما قام به الملك الصالح إسماعيل من التحالف مع الصليبيين ضد إخوته من المسلمين، لم ينتج عنه سوى الهزيمة له ولمن تحالف معهم من الصليبيين، وعاد هو وعساكره الشاميين إلى ديارهم خائبين مهزومين.

وبعد هزيمة الملك الصالح إسماعيل في معركة غزة، وعودته إلى دمشق مخذولا مدحورا، غلبت عليه شقوته ونزعته للخيانة؛ فتحالف مع الملك الناصر يوسف[٢] للقيام بحملة عسكرية على مصر، وذلك بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة سبع وأربعين وستمائة (١٢٤٩م)، وقد واجهت هذه الحملة الكثير من المصاعب والشدائد؛ بسبب شجاعة المماليك والمصريين، فهُزِمَ الملك الصالح إسماعيل ومن معه، وهرب الناصر يوسف، ووصل إلى غزة، وأخذ ينتظر الفارين من أصحابه[٣]. وأما الملك الصالح إسماعيل فقد وقع في الأسر، مع غيره من الأسرى الذين وقعوا في أيدي المماليك البحرية[٤]، وجيئ به وبالأسرى إلى تربة الصالح نجم الدين أيوب، وحينما

=أصله من إربل، وله شعر وأدب، وتوفي سنة ثمان وخمسين وستمائة (١٢٥٩م). الذهبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج١٤، ص٩٠٧. والصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٢، ص٦٦.

(١) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٥، ص٣٣٩.

(٢) السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن السلطان الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابن الأمير نجم الدين أيوب الأيوبي، صاحب حلب ثم صاحب الشام، ولد بقلعة حلب في رمضان سنة (٦٢٧هـ)، وقتل سنة (٦٥٨هـ). الذهبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج١٤، ص٩٢٣.

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٢٢، ص٤١٥ وما بعدها.

(٤) يرجع السبب في تسمية هذه الفرقة بالبحرية إلى اختيار الصالح نجم الدين أيوب جزيرة الروضة في بحر النيل مركزًا لهم، وكان معظم هؤلاء المماليك من الأتراك، مجلوبين من بلاد القفجاق – شمالي البحر الأسود – ومن بلاد القوقاز قرب بحر قزوين، وكانوا يبيتون بالقلعة، وحول دهاليز السلطان في السفر كالحَرَس، وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٦.

وصلوا به إلى هناك أخذوا به، وصاحوا يا خوند، أين عينك ترى عدوك؟[١]. ورموا الأسارى في الجباب، وجمعوا بين الصالح إسماعيل وبين أولاده أيامًا، ثم غَيَّبوه، ولم يصح عنه خبر إلا ما تتحدث العوام بتلافه[٢]. ودخلوا به إلى القاهرة، وسجنوه في قلعة الجبل، ثم أخرج وخنق، وذلك في سنة ثمان وأربعين وستمائة (١٢٥٠م) [٣]. وذكر الذهبي أنه "في سَلْخ ذي القَعدة أخرجوا الصالح إسماعيل من القَلْعة ليلًا، ومضوا به إلى الجبل، فقتلوه هناك، وعُفي أثره"[٤]. وذكر أيضًا أنه "قيل: إنه خُنِقَ كَمَا أمَرَ هو بِخَنْقِ الملك الجواد"[٥].

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج١٤، ص٥٩٤.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ص٤١٥.

(٣) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٤، ص١٨١١.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج١٤، ص٥٩٤.

(٥) الذهبي: المصدر السابق، ج١٤، ص٥٩٥.

والملك الجواد هو يونس بن مودود بن محمد بن أيوب، السلطان الملك الجواد مظفر الدين، ابن الأمير مظفر الدين ابن الملك العادل أبي بكر، وكان الملك الجواد بعد موت الملك الكامل، قد استولى على دمشق، وعلى الخزائن، التي كانت بها، ولكنه سلمها إلى الملك الصالح سنة ست وثلاثين وستمائة (١٢٣٨م)، على أن يعوضه عنها بالرقة سنجار وعانة، وقتل سنة إحدى وأربعين وستمائة (١٢٤٣م). ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص٤٩٨ وما بعدها. والكتبي: فوات الوفيات، ج٤، ٣٩٦،٣٩٧.

المبحث الثاني

موقف العِزّ بن عبد السلام من الخيانة

وردّ الصالح إسماعيل عليه

أولًا- موقف العِزّ بن عبد السلام من الخيانة:

لم يكن الصالح إسماعيل على وفاق مع الشيخ العِزّ منذ حياة أخيه الملك الأشرف، وكان سيء الظن به، ولكنه لم يجرؤ على عزله من الخطابة، أو الإساءة إليه؛ وذلك لما رآه من تكريم أخيه الملك الأشرف له، ولما يتمتع به الشيخ العِزّ بن عبد السلام من مكانة مرموقة في المجتمع(١).

وزاد الأمر سوءًا أن الملك الكامل(٢) عندما زار الشيخ العِزّ، وتوَدَّدَ إليه، وأكرمه، وقربه أمام أخيه إسماعيل، استفتاه قائلًا: إن هذا – مشيرًا إلى الصالح إسماعيل – له غرام برمي البندق، فهل يجوز ذلك؟ فقال العِزّ بن عبد السلام: بل يحرم عليه، فإن رسول الله نهى عنه وقال: "إِنَّهُ لاَ يَقْتُلُ الصَّيْدَ، وَلاَ يَنْكَأُ العَدُوَّ، وَإِنَّهُ يَفْقَأُ العَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ"(٣). فأعلن الشيخ الحكم الشرعي، ولو خالف رغبة وهوى الصالح إسماعيل، ولم يجامل في دين الله لإرضائه(٤).

---

(١) محمد الزحيلي: العز بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الملوك الداعية، المصلح، القاضي، الفقيه، الأصولي، المفسر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١٧٤.

(٢) الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الكردي الأيوبي. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ٣١٣.

(٣) البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (ت: ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ج٨، ص٤٩. وأبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت: ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ، ج٤، ص٣٦٨.

(٤) محمد الزحيلي: العز بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الملوك الداعية، المصلح، القاضي، الفقيه، الأصولي، المفسر، ص١٧٤.

فقد كان الشيخ العِزّ بن عبد السلام يعلم جيدًا أن على رجال الدين والعلماء مهمة تقويم الحكام والمجتمع في حالة وقوعهم في أخطاء تلحق الضرر بالمسلمين؛ فكان يقول: "إن على الأئمة بذل النصح والجهد للمسلمين في جلب المصالح ودفع المضار من حفظ البلاد، ودفع الفساد، ودرء العناد، وإصلاح العباد، وتجنيد الأجناد، وتحرير الغزاة، وحفظ ما يجب حفظه، ورفض ما يجب رفضه، وتعجيل ما يجب تعجيله، وتأخير ما يجب تأخيره، ودفع أعظم المفاسد فأعظمها، وتفقد أحوال القضاة والولاة بالعيون الثقات[١].

وكان يرى في تقصير المقصريين فيما يجب عليهم خيانة، ويرى الويل لمن غش رعيته أو طعن في البلاد، ولذلك كان يقول: " كل من قصر فيما وجب عليه فهو خائن، ولما كان تقصير الولاة عامًا على رعاياهم، كان إثمهم على قدر تقصيرهم العام، ومن غش رعيته كان عليه إثم كل واحد ممن غشه فيما غشه فيه من أنواع الحقوق، فويل للظالم لم يفرق ظلمه على الناس، ويجمع الله عقابه عليه، وويل لمن حكمه الله في بلاده، فأفسد في الأرض بعد إصلاحها، وويل لمن طغى في البلاد فأكثر فيها الفساد، وويل لمن حكمه الله في عباده بحكم، فغير حكمه، أو أقسم لعباده بقسم، فغير قسمه، أو حدَّ لهم حدودًا فتعداها ..."[٢].

وقد اشتد غضب الشيخ العز بن عبد السلام حينما دخل الفرنج مدينة دمشق؛ لشراء الأسلحة؛ ليقاتلوا المؤمنين بها، وشق عليه الأمر مشقة عظيمة، لذلك نجده يقول لمن استفتوه في مبايعة السلاح للفرنج: "يحرم عليكم مبايعتهم؛ لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين"[٣].

وعندما ارتقى الشيخ العِزّ بن عبد السلام منبر المسجد الكبير بدمشق جدد دعاءه على المنبر، وكان يدعو به إذا فرغ من الخطبتين قبل نزوله من المنبر قائلًا: "اللهم أبرم

---

(١) علي عبد مشالي: المواقف التاريخية والفكرية في مؤلفات العز بن عبد السلام الدمشقي ومنهجه وموارده، ص٩٦.

(٢) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢٣٠.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ص٢٤٣.

لهذه الأمة أمرًا رشدًا، تُعِزُّ فيه وَلِيَّكَ، وتُذِلُّ فيه عَدُوَّكَ، ويُعْمَلُ فيه بطاعتك، ويُنْهَي فيه عن معصيتك. والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين والنصر على أعداء الإسلام"[١].

كان الشيخ العِزّ بن عبد السلام يعلم جيدًا ما سوف يلحق به من ضرر، وما سيترتب على ما يفتي به، ولكنه كان رجلا يعمل لآخرته، لا لدنياه، لذلك كان يقول: "وأما مصالح الدنيا وأسبابها ومفاسدها فمعروفة بالضرورات، والتجارب والعادات، فإن خفي شيء من ذلك طلب أدلتهم، وليعرض ذلك على عقله بتقدير أن الشرع لم يرد به، ثم يبني عليه الأحكام؛ فلا يكاد حكم يخرج على ذلك"[٢]. ويقول: "ولما علم أن الولاة والقضاة لا يقدرون على القيام بما وَلُوهُ أوجب على أهل الكفاية مساعدتهم على جلب مصالح ولاياتهم ودرء مفاسدها"[٣].

ولما كانت علاقة الملك الصالح إسماعيل بالفرنجة قد تخطت الحدود، حيث كان يسمح لهم بشراء السلاح من المسلمين؛ لقتل إخوانهم من المسلمين، كانت فتوى الشيخ العِزّ بن عبد السلام في غاية الخطورة والأهمية؛ لأنها لم تضع حدًا لِسَفَهِ السلطان فقط، بل لجيش المنتفعين من ورائه، لا سيما من تجار الحروب، فقد أفتى – كما سبق أن ذكرت– بحرمة البيع والشراء مع الصليبين، وأنكر على الملك الصالح إسماعيل جريمتَه، وقَبَّحَ خِيَانَتَه، وأظهرها أمام الناس، وقد دَلَّ هذا الموقف التاريخي له على صلابته في الحق، وأنه لا يخشى في الله لومة لائم، كما دَلَّ على حرصه على مصالح المسلمين، وأنه لا يساوم على الحق أبداً ولا يداهن فيه، وقد لَقَّنَ الملكَ الصالحَ إسماعيل بهذا الموقف درسًا قاسيًا؛ عَلَّمَهُ به أنه مهما تَجَبَّرَ في الأرض، فإنَّ الحَقَّ أعلى شأنًا منه، ومن غيره، وقد ينطق الحَقُّ على لسان رجل طاعن في السن، فيقض مضجعه.

---

(١) الداوودي: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت: ٩٤٥هـ/١٥٣٨م)، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص٣٢٨.

(٢) قواعد الأحكام، ج١، ص٧.

(٣) القواعد في اختصار المقاصد أو القواعد الصغرى، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٢٠.

لقد اتخذ الشيخ العِزّ بن عبد السلام طريقَ الحق، وسار فيه بكل ثقة وأمان، وترك طريق الباطل، الذي يضطرب فيه أعوانه، فاتجه إلى القدس بعزة وأمان وطمأنينة قلب ونفس، مع أنه مهاجر غريب. وأما الصالح إسماعيل، فقد كان مشتت الرأي، مضطرب الفكر، مع أنه في السلطة والأبهة والجاه، ولذلك استمر في مطارة العِزّ بن عبد السلام في الطريق، وأراد مساومته بالتراجع عن رأيه، والاستسلام للسلطان؛ ليستغل فيه نقطة الضعف البشري بعد عزله، وأثناء غربته وهجرته، ليعيده إلى دمشق، ويوليه المناصب، ولكن أين أصحاب المطامع والأهواء والمصالح الشخصية من أصحاب القيم والمبادئ والتضحيات(١).

ثانياً- رد الملك الصالح إسماعيل على العِزِّ بن عبد السلام:

كاتَب أعوانُ الشيطان الملكَ الصالحَ إسماعيل –وكان خارج دمشق– بما بدر من الشيخ العِزّ بن عبد السلام، وحَرَّفُوا القولَ وزخرفوه له، فلما وصله الخبر سارع إلى إصدار الأمر الكتابي بعزل الشيخ العِزّ بن عبد السلام من الخطابة والإفتاء، واعتقاله، فَبَقِيَ مدَّة معتقلًا، ثم عفا الملك الصالح إسماعيل عنه وأخرجه من السجن، بعد مُحاورات ومُراجعات، فأقام مدَّة بدمشق(٢).

وقد تلقى الشيخ العِزّ بن عبد السلام العزل من منصبه راضيًا مرضيًا، سعيدًا بالتضحية في سبيل الله، وإعزاز دين الله،، وبيان حكم الشرع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدع بالحق، والجهر بالواجب مهما كانت العواقب، ولكنه ضاق بالإقامة الجبرية، وتعطيل العمل المسؤول عنه شرعًا، فقرر مغادرة دمشق، والهجرة إلى أرض الله الواسعة، لعله يجد فيها الظروف المواتية، فخرج عنها إلى بيت

---

(١) محمد الزحيلي: العز بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الملوك الداعية، المصلح، القاضي، الفقيه، الأصولي، المفسر، ص١٧٧.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٤٣.

المَقدس، فوافاه الملك الناصر داود على الفور، فقطع عليه الطريق وأخذه، وأقام عنده بنابُلس[١] مدَّة[٢].

ثم انتقل الشيخ العز بن عبد السلام إلى بيت المقدس وأقام به مدَّة، وأثناء وجوده في بيت المقدس، جاء الملك الصالح إسماعيل، والملك المنصور صاحب حمص، وملوك الفرنج بعساكرهم وجيوشهم إلى بيت المقدس؛ يقصدون الديار المصرية، فَسَيَّرَ الملكُ الصالح إسماعيل بعض خواصه المقربين إليه، بمنديل إلى الشيخ العز بن عبد السلام، وقال له: تدفع منديلي إلى الشيخ، وتتلطف به غاية التلطف، وتستنزله، وتَعِدُه بالعود إلى مناصبه على أحسن حال، فإن وافقك فتدخل به عليَّ، وإن خالفك فاعتقله في خيمة جانب خيمتي[٣].

فلما اجتمع رَسُولُ الملك الصالح إسماعيل بالشيخ العِزّ بن عبد السلام شرع في مسايسته وملاينته، ثم قال له: بينك وبين أن تعود إلى مناصبك، وما كنت عليه وزيادة، أن تنكسِر للسلطان، وتقبِّل يده لا غير. فرد عليه الشيخ العِزّ بن عبد السلام ردًا قويًا وقال له: يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي، فضلًا أن أقبل يده، يا قوم أنتم في وادي وأنا في وادي، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به[٤].

---

(١) نابلس: مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثيرة المياه لأنها لصيقة في جبل، أرضها حجر، ولها كورة واسعة وعمل جليل كله في الجبل الذي فيه القدس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٨. ونابلس الآن مدينة فلسطينية، ومن أشهر مدن الضفة الغربية لنهر الأردن وأكبرها، وهي مستطيلة الشكل ذات زروع وثمار، تقع بين جبلين إلى الشمال من القدس، وهي من أهم المراكز التجارية والصناعية. يحي شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص١٠٥.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٤٣. ومحمد الزحيلي: العز بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الملوك الداعية، المصلح، القاضي، الفقيه، الأصولي، المفسر، ص١٧٧.

(٣) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٩، ص١٩٢.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٤٤.

فقال رسول الملك الصالح إسماعيل للشيخ العِزّ بن عبد السلام: قد رَسَمَ لي إن لم توافق على ما يطلب منك وإلا اعتقلتك. فقال الشيخ له افعلوا ما بدا لكم، فأخذه واعتقله في خيمة إلى جانب خيمة السلطان(١).

وكان الشيخ العِزّ بن عبد السلام يقرأ القرآن والسلطان يسمعه، وقال السلطان الملك الصالح إسماعيل يومًا لملوك الفرنج: تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن؟ قالوا نعم. قال: هذا أكبر قُسُوس المسلمين، وقد حبسته لإنكاره عليَّ تسليمي لكم حُصُون المسلمين، وعزلته عن الخِطابة بدِمشق وعن مناصبه، وقد جدَّدتُ حبسه واعتقاله لأجلكم. فقالت له ملوك الفرنج: لو كان هذا قِسِّيسَنا لغَسلنا رجليه وشَرِبنا مَرَقتها(٢).

والواقع أن هذا النص يشير إلى مدى التردي الذي وصل إليه الملك الصالح إسماعيل – وغيره من الحكام والسلاطين– والذي يتمثل في تآمرهم على العلماء وحبسهم، وتعاونهم مع أعداء الإسلام، ولا سيما الصليبيين.

ثم حدثت معركة غزة سنة ٦٤٢هـ (١٢٤٤م)، وهُزِمَ فيها الصالح إسماعيل ومن معه، كما بيناه من قبل، وعادوا إلى دمشق مهزومين مخذولين، وأطلقت العساكر المصرية سراح الشيخ العز بن عبد السلام، الذي قدم إلى الديار المصرية(٣). فأقبل عليه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بالاحترام والإكرام، وولّاه قضاء مصر، والخطابة بجامع عمرو(٤) بن العاص(٥).

---

(١) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٩، ص١٩٢.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٤٤.

(٣) السبكي: المصدر نفسه.

(٤) جامع عمرو بن العاص: كان هذا المسجد أول ما عنى به عمرو بن العاص بعد أن خضعت له مصر، وأنشأه بمدينة الفسطاط في سنة احدى وعشرين من الهجرة، وهو المسجد المشهور بتاج الجوامع، ويقال له أيضاً: الجامع العتيق، وهو أول مسجد أسس بالديار المصرية. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٨٢. والسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م)، الوسائل إلى معرفة الأوائل، تحقيق: إبراهيم العدوي، وعلي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، بدون تاريخ الطبع، ص٣٢.

(٥) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٩، ص١٩٢.

وفوض إليه عِمارة المساجد المهجورة بمصر والقاهرة، وقد ولّاه أيضًا تدريس المدرسة الصالحية[١] بالقاهرة المُعِزِّيّة[٢].

وجدير بالذكر أن معظم المصادر التي اطلعت عليها ذكرت أن مجيئ العز بن عبد السلام الى مصر كان سنة تسع وثلاثين وستمائة (١٢٤١م)، وأن ذلك قد حدث بعد أن عفا عنه الملك الصالح إسماعيل وهو في بيت المقدس[٣]. بينما ذكر تاج الدين السبكي أنه جاء إلى مصر سنة اثنين وأربعين وستمائة (١٢٤٤م) بعد أن أطلقت العساكر المصرية سراحه من سجن الصالح إسماعيل في بيت المقدس؛ وذلك بعد انتصارهم على الملك الصالح إسماعيل ومن معه من الفرنجة في معركة غزة سنة اثنين وأربعين وستمائة (١٢٤٤م)[٤].

وفي رأيي أن ما ذكره تاج الدين السبكي هو الصواب، وهو المقبول عقلًا؛ ذلك أنه ليس من المعقول أن يطلق الملك الصالح إسماعيل سراح العِز بن عبد السلام بعد أن حبسه الصالح إسماعيل في خيمة مجاورة لخيمته التي يقيم فيها ببيت المقدس، وبعد أن رفض العِزُّ تقبيل يده، والعودة إلى جميع مناصبه، والكف عن فتاويه السابقة، ثم كيف يطلق الصالح إسماعيل سراحه ويتركه يذهب إلى مصر، وهو في حالة حرب –

---

(١) المدرسة الصالحية: أول مدرسة أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب في مصر للمذاهب الإسلامية على جزء كبير من القصر الفاطمي، وتم بناؤها سنة ٦٤١هـ (١٢٤٣م)، وجعلها ذات أواوين أربعة، لكل مذهب إيوان. وابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١٤، حاشية رقم (٤)، ص٢١٠. وأحمد أحمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، مكتبة المهتدين، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، بدون تاريخ، ص٤٩.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٤٤.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٥، ص٣٣٩. والنويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٩، ص١٩١. والذهبي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج١٤، ص٣٠.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٤٤.

ومعه قواته وحلفاؤه من الصليبيين وغيرهم – ومن الممكن جدًا أن يخبر العزُّ بن عبد السلام الجنود المصريين بأحوال جيش الصالح إسماعيل وحلفائه، وعددهم، وأماكن تمركزهم، وغير ذلك من الأمور الحربية التي عِلْمُها يفيد جيش المصريين، ويلحق أبلغ الضرر بجيش الصالح إسماعيل ومن معه؟!!! فضلا عن أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يذهب الصالح إسماعيل ومن معه من الفرنجة إلى بيت المقدس سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م)، ويبقى فيها بقواته ثلاث سنوات حتى معركة غزة سنة اثنين وأربعين وستمائة (١٢٤٤م)، تاركًا عاصمة ملكه في دمشق ثلاث سنوات كاملة!!! لذلك فإني أرى أن الصواب أن العساكر المصرية هي التي أطلقت سراحه بعد انتصارهم على الصالح إسماعيل في معركة غزة سنة اثنين وأربعين وستمائة (١٢٤٤م)، وليس الصالح إسماعيل، فجاء إلى مصر، واستقر بها.

والمهم أن الشيخ العِزّ بن عبد السلام وصل إلى مصر، واستقر بها، وظل مقيمًا بها حتى توفى سنة ستين وستمائة (١٢٦١م) ، ودفن في مدينة القاهرة، وقد حضر جنازته خلق كثير[١].

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢١٠، وص٢٤٤ وما بعدها.

الخاتمة

وبعد،

فهذا بحث عن "خيانة الملك الصالح إسماعيل وموقف العِزّ بن عبد السلام منها"، وقد توصلت فيه إلى النتائج التالية:

– أن تحالف وتعاون الملك الصالح إسماعيل مع الإفرنج ضد إخوته من المسلمين، دليل قوي على فساد طبعه، وقلة دينه، والانحلال والتخاذل السياسي الذي وصل إليه.

– رغم المعاهدات والمواثيق التي كانت بين الملك الصالح إسماعيل والصليبيين، إلا أن نيتهم كانت غير صافية؛ فكانت خطتهم في معركة غزة مبنية على أن يتركوا المسلمين يحارب بعضهم بعضًا؛ فيقتلون ويضعفون بعضهم، ويبقوا هم في أمان.

– تنازل الملك الصالح إسماعيل عن بعض المناطق الإسلامية في بلاد الشام سنة ثمان وثلاثين وستمائة (١٢٤٠م) لصالح الفرنج، مقابل التحالف معه، ومعاضدته في حربه ضد المصريين، وحلفائهم الخوارزميين.

– انتصر المصريون والخوارزميون على الملك الصالح إسماعيل ومن معه من الصليبيين في معركة غزة سنة اثنين وأربعين وستمائة (١٢٤٤م) انتصارًا عظيمًا، ووردت البشائر بهذا النصر العظيم إلى مصر، فتزينت مصر وقلاعها زينة لم تتزين قبل ذلك مثلها، وضربت البشائر أيامًا متوالية، ووصل إلى مصر أسارى الفرنج، ومعهم جماعة من الأمراء والأعيان من المسلمين الذين كانوا معهم أسارى، منهم جماعة من أصحاب الملك الناصر داود، وجماعة من عسكر دمشق، وكان يوم دخولهم القاهرة يومًا مشهودًا.

– كان الشيخ العز بن عبد السلام يعلم جيدًا أن على رجال الدين والعلماء مهمة تقويم الحكام والمجتمع في حالة وقوعهم في أخطاء تلحق الضرر بالمسلمين.

– اشتد غضب الشيخ العز بن عبد السلام حينما دخل الفرنج إلى مدينة دمشق؛ لشراء الأسلحة؛ ليقاتلوا المؤمنين بها، وشق عليه هذا الأمر مشقة عظيمة، فأفتى بحرمة البيع والشراء مع الصليبين، وأنكر على الملك الصالح إسماعيل جريمتَه، وقَبَّحَ خيانتَه،

وأظهرها أمام الناس، الأمر الذي يدل على صلابة الشيخ العز بن عبد السلام في الحق، وأنه لا يخشى في الله لومة لائم.

– قام الملك الصالح إسماعيل بعزل الشيخ العز بن عبد السلام من مناصبه، فتلقى الشيخ العز بن عبد السلام العزل من منصبه بنفس راضية، سعيدا بالتضحية في سبيل الله، وإعزاز دينه، وحريصا على بيان حكم الشرع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وأخيرًا، فإني أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وما خرجت به من نتائج؛ فإن أَكُ وُفِّقْتُ فللهِ الحمد والمنة، وإن جانبني التوفيق في شيء؛ فالكمال لله وحده، والخطأ والنسيان من صفات البشر.

﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾.

المصادر والمراجع

أولًا ـ المصادر:

أ ـ المصادر العربية:

ابن أيبك: أبو بكر بن عبد الله الدوا داري(ت:٧٣٢هـ /١٣٣٢م).

١- كنز الدرر وجامع الغرر (الدُرّ المطلوب في ذكر ملوك بني أيوب)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م.

بامخرمة: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي (ت: ٩٤٧ هـ/١٥٤٠م).

٢- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عُني به: أبو جمعة مكري، وخالد زواري، دار المنهاج، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (ت: ٢٥٦هـ/٨٦٩م).

٣- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (٤٨٧هـ /١٠٩٤م).

٤- المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه: جمال طلبة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

بيبرس المنصوري: الأمير بيبرس بن عبد الله المنصوري (ت: ٧٢٥هـ/١٣٢٤م).

٥- مختار الأخبار (تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ)، حققه وقدم له ووضع فهارسه: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ابن تغري بردي: جمال الدين يوسف أبو المحاسن (ت: ٨٧٤ هـ /١٤٦٩م).

٦- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون تاريخ.

٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

الحازمي: أبو بكر محمد بن أبي عثمان (ت: ٥٨٤هـ/١١٨٨م).

٨- عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب، تحقيق: عبد الله بن كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ /١٤٩٤م).

٩- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م).

١٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت: ٢٧٥هـ/٨٨٨م).

١١- سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ.

الداوودي: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت: ٩٤٥هـ/١٥٣٨م).

١٢- طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

ابن دقماق: صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر (ت: ٨٠٩هـ/١٤٠٦م).

١٣- نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (٦٢٨هـ-١٢٣٠م/٦٥٩هـ-١٢٦١م)، دراسة وتحقيق: سمير طبارة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

١٤- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

الزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسني (ت: ١٢٠٥هـ /١٧٩٠م).

١٥- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

١٦- ترويج القلوب في ذكر الملوك بني أيوب، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

سبط ابن الجوزي: شمس الدين يوسف بن قِزْ أوغلي (ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٦م).

١٧- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، دمشق، بدون تاريخ.

السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت:٧٧١هـ/١٣٦٩م).

١٨- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، دار هجر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١ هـ /١٥٠٥م).

١٩- الوسائل إلى معرفة الأوائل، تحقيق: إبراهيم العدوي، وعلي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، بدون تاريخ الطبع.

ابن شداد: أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة (ت: ٦٣٢هـ/١٢٣٤م).

٢٠- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

الصفدي: الحسن بن أبي محمد عبد الله الهاشمي(توفي بُعَيْدَ ٧١٧هـ /١٣١٧م).

٢١- نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من وُليَّ مصر من الملوك، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

٢٢- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

صفيّ الدين البغدادي: عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م).

٢٣- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

ابن عبد الظاهر: محي الدين بن عبد الظاهر (٦٩٢هـ /١٢٩٢م).

٢٤- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت: ٦٠٦هـ،/١٢٦٢م).

٢٥- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق وتقديم: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٦- زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

العز بن عبد السلام: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام(ت: ٦٦٠هـ/١٢٦٢م).

٢٧- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٨- القواعد في اختصار المقاصد أو القواعد الصغرى، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٩- القواعد الكبرى الموسوم بـ (قواعد الأحكام في إصلاح الأنام)، تحقيق: نزيه كمال حماد، وعثمان جمعة ضميرية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

ابن العماد: شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد (١٠٨٩هـ /١٦٧٨م).

٣٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وأخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه: محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، بيروت، الطبعة الأولى بدون تاريخ.

ابن العميد: المكين جرجس (ت: ٦٧٢هـ /١٢٧٣م).

٣١- أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، بدون تاريخ.

الغَزي: شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن(ت: ١١٦٧هـ/١٧٥٣م).

٣٢- ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كَسرَوي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م).

٣٣- تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود، والبارون ماك ديسلان، طبع في مدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية، دار صادر بيروت.

٣٤- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

ابن فضل الله العمري: شهاب الدين أحمد بن يحي (ت: ٧٤٩هـ /١٣٤٨م).

٣٥- التعريف بالمصطلح الشريف، عنى بتحقيقه وضبطه وعلق على حواشيه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٣٦- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

ابن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت: ٨٥١هـ /١٤٤٧م).

٣٧- طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد الحليم خان، وزارة المعارف، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/١٩٩٧م.

القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ /١٢٨٣م).

٣٨- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.

القلقشندي: أحمد بن علي بن أبي اليمن (ت: ٨٢١هـ /١٤١٨م).

٣٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن(ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

٤٠- فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

٤١- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

المطري: جمال الدين محمد بن أحمد (ت: ٧٤١هـ /١٣٤٠م).

٤٢- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، دراسة وتحقيق: سليمان الرحيلي، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

المقدسي: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل(ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٥م).

٤٣- تراجم رجال القرنين السادس والسابع (المعروف بالذيل على الروضتين)، دار الجبل، بيروت، ١٩٧٤م.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

٤٤- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٥- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٤٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، راجعه وضبط هوامشه أحمد أحمد زيادة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ /١٣٣٢م).

٤٧- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحه، وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٨م).

٤٨- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، حققه ووضع حواشيه: حسنين محمد ربيع، راجعه وقدم له: سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، بدون تاريخ.

اليافعي: محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ /١٢٦٩م).

٤٩- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٥٠- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

ب ـ المصادر المعربة:

مجهول.

٥١- تتمة كتاب وليم الصوري، ترجمة وتحليل وتعليق: أسامة زكي زيد، مكتبة المهتدين، ١٩٨٩م.

وليم الصوري (ت:٥٨٠هـ/ ١١٨٤م).

٥٢- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

يعقوب الفيتري (بطريرك عكا) (ت: ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م).

٥٣- تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق: سعيد البيشاوي، دار الشروق، ١٩٩٨م.

يوحنا فورزبورغ (الرحالة الألماني).

٥٤- وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق، ١٩٩٧م.

ثانياً ـ المراجع:

أ- المراجع العربية:

أحمد أحمد بدوي.

٥٥- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، مكتبة المهتدين، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، بدون تاريخ.

حمزة النشرتي، وآخرون.

٥٦- السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين وبطل موقعة حطين، المكتبة القيمة بالقاهرة، بدون تاريخ.

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور).

٥٧- الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م.

عبد المنعم الهاشمي (دكتور).

٥٨- العز بن عبد السلام سلطان العلماء، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

علي عبد مشالي (دكتور).

٥٩- المواقف التاريخية والفكرية في مؤلفات العز بن عبد السلام الدمشقي ومنهجه وموارده، دار تموز، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

كمال موريس شربل (مهندس).

٦٠- الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، دار الجبل، بيرو، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

محمد الزحيلي (دكتور).

٦١- العز بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الملوك الداعية، المصلح، القاضي، الفقيه، الأصولي، المفسر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

يحي شامي (دكتور).

٦٢- موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

يوسف حسن درويش غوانمة (دكتور).

٦٣- إمارة الكرك الأيوبية، دار الفكر، عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ب ـ المراجع المعربة:

ستيفن رنسيمان.

٦٤- تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.